السيميائية

مدخل نظري ونموذج تطبيقي

تأليف:

الدكتور/ إبراهيم محمد أبو اليزيد خفاجة

أستاذ اللغة العربية وآدابها المساعد

١٤٤١هـ - ٢٠٢٠م

طبعة خاصة بالمؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله وكفى والصلاة والسلام على عباده الذين اصطفى، وأخص منهم خير من صدق الحديث ووفى، وختم به الرسل الكرام وأوذي فعفا، سيدنا مُحَمَّد بن عبد الله خير من وطأت قدماه الحصى، وأشرف الخلق نسبا وأطيبهم مجلسا، صلاة وسلاما عدد النجم في السماء، وفي الأرض عدد حبات الرمال والحصى، والله سبحانه وتعالى أسأل أن يجعلني ومن اتبع هداه يوم القيامة أقربنا إليه مجلسا، وبعد:

فقد عرفت البشرية على مر التاريخ ألوانا متعددة من الفنون، كالنحت والتصوير، والنقش على الأحجار، وغير ذلك، وكان كثير منها وسيلة اتصال وتواصل مع الآخرين يقف جنبا إلى جنب مع اللغة المنطوقة، حتى استطاع الإنسان بذكائه الذي منحه الله تعالى أن يخترع الكتابة، ويحول اللغة المنطوقة إلى رموز مكتوبة، ومنذ ذلك الحين، استطاع الإنسان أن يدون أفكاره، وعلومه، كما استطاع أن يعبر عن مشاعره وهمومه من خلال هذه اللغة، وينقلها إلى الآخرين، ويسجل تاريخه الإنساني بجميع أحداثه، بأفراحه وأتراحه، ولم يعد الأمر قاصرا على اللغة المنطوقة فقط.

واستطاع من خلال اللغة – المنطوقة والمكتوبة – أن يسجل أفكاره ومشاعره شعرا ونثرا، وتعددت ألوان التعبير، وتميزت من عصر إلى عصر ومن جيل إلى جيل، ومن أمة إلى أمة، وحملت أنواعا مختلفة من الخصائص والسمات؛ وإن كانت جميعا تلتقي في غاية واحدة، وهي التعبير عن الذات الإنسانية، والتعبير عن الإنسان بوصفه إنسان، وما يدور بداخله من خلجات نفسية أو معتقدات فكرية.. ونحو ذلك.

ومن بين ألوان الأدب وفنونه التي اخترعها الإنسان، يبرز فن القصص، كأحد أهم الفنون المتوارثة وأعظمها تأثيرا، وقد اخترت فن القصة ليكون هذا البحث ميدانا له؛ لما له من دور مؤثر، وقيمة عظيمة بين أنواع الأدب وفنونه المختلفة.

أما عن موضوع البحث فقد اخترت التحليل السيميائي للأدب القصصي، وجعلت عنوانه" (تحليل قصة من كتاب البخلاء في ضوء المنهج السيميائي)، ومما دفعني لاختيار هذا الموضوع، هو ما وجدته من قلة الدراسات العربية في هذا الموضوع في الوقت الحالي من جانب، وما فيه من تشويق وإعادة نظر في كثير من نتاج الأدب القصصي وفق معطيات العلوم اللغوية الحديثة، من جانب آخر.

بالإضافة إلى أنه يمكن من خلال التحليل السيميائي للأدب القصصي- علاوة على اكتشاف شخصية الأديب- تفسير تفاعل الشخصيات مع الأحداث، الأمر الذي يساعد في دراسة الدوافع الإنسانية، وخفايا النفوس البشرية التي تجسدها شخصيات القصة بوصفها شخصيات إنسانية، تتصرف وتنفعل وفق ما تمليه عليها طبيعتها الإنسانية.

وقد ذهب كثير من النقاد إلى أن الأديب الذي يستطيع أن يصور المشاعر الإنسانية تصويرا صادقا، ويغوص في أعماق النفس البشرية، هو الأديب الحق، وليس الذي يجلس في برج عاجي بعيدا عن الواقع، متعاليا عن الناس، غير آبه بما يجيش في صدورهم من مشاعر، أو يدور في عقولهم من أفكار.

وتكمن أهمية التحليل السيميائي للأدب القصصي في أنه محاولة جادة لتفسير الأحداث التي تمر بها القصة، كما أنه محاولة لتفسير تفاعل الشخصيات الأدبية (شخصيات العمل القصصي) بوصفها شخصيات إنسانية تتفاعل مع

الأحداث وتنفعل بها ، وتتكشف دوافعها الخفية تجاه التصرفات التي تقوم بها، والأسباب الحقيقية التي تنطلق منها ردود أفعالها.

بالإضافة إلى أنها محاولة للإسهام ولو بشكل ضئيل في إلقاء الضوء على منهج نقدي جديد عرفه النقاد والأدباء العرب في النصف الأخير من القرن العشرين وتأثروا به، وحالوا الاستفادة مما يقدمه لهم من نظريات وأفكار.

خطة تقسيم البحث:

وقد قسمت هذا البحث إلى: مقدمة، وتمهيد، ومبحثين، وخاتمة، وقائمة بالمصادر، وفهرس للمحتويات، على النحو التالي:

***– المقدمة:**

ذكرت فيها سبب اختيار الموضوع وأهميته، وخطة تقسيم البحث.

***– التمهيد:**

حاولت من خلاله أن أبين مفهوم الأدب، وفنونه، وعلاقة الأدب بعلم اللغة، ومفهوم التحليل السيميائي للأدب ونشأته.

***–المبحث الأول:**

حاولت فيه أن أبين المقصود بالأدب القصصي وأنواعه، وعناصر بنائه، وأهمية التحليل السيميائي للأدب القصصي، وعناصر البناء القصصي في ضوء منهج التحليل السيميائي.

***–المبحث الثاني:**

قمت فيه بتطبيق منهج التحليل السيميائي على قصة مختارة من الأدب العربي، وهي قصة: بدون عنوان من كتاب البخلاء للجاحظ أسميتها (الهروب)، محاولا إبراز أهم الملامح الإنسانية، والجوانب الأدبية في شخصيات هذه القصة وفقا لمفهوم المنهج السيميائي.

*–الخاتمة:

صغت فيها أهم ما توصلت إليه من نتائج خلال البحث، وما أراه من مقترحات.

*–مصادر البحث:

اعتمد البحث في صياغة مادته العلمية على عدد من كتب الأدب والنقد الأدبي الحديث لأعلام كبار في مجال الدراسات الأدبية العربية والعالمية، بالإضافة إلى قراءات متنوعة لمناهج التحليل الأدبي العربية والغربية، ومحاولة الاستفادة منها، بالإضافة إلى مجموعات قصصية وروايات متنوعة لكتاب قدماء ومعاصرين، وقد أرجأت الحديث عنها، وعن تفصيلاتها إلى نهاية البحث في قائمة خاصة بذلك.

وفي نهاية القول أرجو من الله تعالى أن يكون في هذا العمل النفع والفائدة، وأن يجعله خالصا لوجهه الكريم، والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل،،،.

المؤلف

د. إبراهيم مُحَمَّد خفاجة

التمهيد

***–مفهوم الأدب، وفنونه:**

يطلق مصطلح الأدب على الإنتاج اللغوي البشري المرتبط بالعاطفة والشعور، وهو القالب اللغوي الذي يصوغ فيه الأديب أفكاره ومشاعره شعرا أو نثرا.

وقد ترسخ هذا المفهوم لدى الأدباء والعلماء على مر السنين، منذ العصور القديمة، حتى عصرنا هذا، وعرفت الأمم والشعوب على اختلاف بيئاتها وثقافاتها ألوانا متعددة من الآداب. وبرع لديهم كتاب ومؤلفين ما زالت آثارهم باقية، وأقوالهم تتناقلها الأجيال على مر السنين.

والأدب بوصفه إنتاج لغوي يقسم إلى فنين أساسيين هما: فن الشعر، وفن النثر، وهذا الأخير يشتمل على كم أكبر من سابقه من الفنون؛ فمنه الرسائل، ومنه الخطب، ومنه الأمثال والحكم، ومنه القصص، والروايات، والمسرحيات، والمقالات الأدبية.

والأدب بوصفه نص لغوي يختلف عن نصوص اللغة الأخرى، لأنه يعتمد على الاستخدام الخاص لمفردات اللغة وأساليبها، استخداما يمكن أن يوصف بأنه استخدام شاعر، حيث يطوع الأديب مفردات اللغة وأساليبها للتعبير عن الأفكار والمشاعر والوجدان تعبيرا مؤثرا، يختلف في طريقته ومضمونه عن باقي التعبيرات الأخرى.

***–علاقة الأدب بعلم اللغة:**

العلاقة بين علم اللغة والأدب علاقة وثيقة الصلة؛ وقديمة قدم الإنسان نفسه، فعلم اللغة يبحث في الوسائل التعبيرية التي يمكن للإنسان استخدامها للتعبير عن أفكاره ومشاعره، وعلم الأدب يبحث – أيضا –في اللغة الإنسانية

بوصفها قالبا تخرج فيه المشاعر والأحاسيس والأفكار والخواطر التي تطفو على السطح في صورة تعبيرات أدبية لغوية، وانفعالات شعورية تجاه المواقف الحياتية والأحداث اليومية، والقضايا المعاصرة، فالمنبع الذي ينشأ منه العلمان واحد، والرحم التي يخرجان منها هي اللغة الإنسانية، فلولا اللغة ما أبدع الأديب، ولما أمكنه التعبير عما يجيش بداخله، فالأدب خليط من الفكر والشعور والانفعال، ثم التعبير عن ذلك في قالب من قوالب التعبير المختلفة(١).

***–المقصود بالسيميائية:**

السيميائية مصطلح مأخوذ من كلمة سمياء وتعنى العلامة، فالسيميائية هي العلم الذي يبحث في العلامات والدلائل (الإشارات) ويقوم بدراستها دراسة منظمة، وينتمي هذا الاتجاه في أصوله ومنهجه إلى البنيوية، ويعود الفضل في نشأته وتمييز ملامحه إلى عالم اللغة الشهير فرديناد دي سوسير(٢)، و برز في هذا المجال أعلام آخرون من أمثال بيرس، ورولان بارت، وجريماس... وغيرهم كثير.

وتحتل السيميائية مكانة مميزة في الفكر المعاصر، فهي نشاط معرفي بالغ الخصوصية من حيث أصوله وامتداداته، ومن حيث مردوديته وأساليبه التحليلية، إنها علم يستمد أصوله ومبادئه من مجموعة كبيرة من الحقول المعرفية كاللسانيات، والفلسفة، والمنطق، والتحليل النفسي، والأنثروبولوجيا(٣).

---

(١) انظر: سامي الدوريي، علم النفس والأدب، ص: (٢٢٥) بتصرف. دار المعارف، مصر، الطبعة الثانية، د.ت.

(٢) انظر: دليل الناقد العربي، ميجان الرويلي وسعد البازعي، ص: (١٧٧ -١٨٥)، المركز الثقافي العربي –المغرب، الطبعة الرابعة، ٢٠٠٥م.

(٣) انظر: السميائيات، مفاهيمها وتطبيقاتها، الفصل الأول، موقع سعيد بنكراد الالكتروني بتاريخ: ١٤٢٨/٣/٢٦هـ.

والسيميائية لا تنفرد بموضوع خاص بها، فهي تهتم بكل ما ينتمي إلى التجربة الإنسانية العادية شريطة أن تكون هذه الموضوعات جزءا من سيرورة دلالية[١].

***–نشأة التحليل السيميائي للأدب القصصي:**

ظهرت ملامح المنهج السيميائي منذ العصور القديمة، واتضحت ملامحه على وجه خاص في تحليل الأدب القصصي في القرن العشرين، وذلك نتيجة للتأثر بمناهج الدراسات اللغوية والأدبية الحديثة التي قامت في الغرب وانتقلت عبر معابر شتى إلى البيئة العربية.

(١) انظر: المصدر السابق.

المبحث الأول

مقدمة عن الأدب القصصي

***–أولا: مفهوم الأدب القصصي:**

ورد معنى القص في اللغة بمعنى قص الأثر[١]، أي: تتبع مساره، ورصد حركته، وأصحابه، والتقاط بعض أخبارهم، ومنه قوله تعالى : (**فارتدا على آثارهما قصصا**) [٢]. ويقال: استقصى، أي: طلب منهم أن يقص قصة[٣].

وعرف المصريون القدماء والهنود، والصينيون، واليونانيون، والرومان القصة بأنواعها، وعرفتها البيئة العربية بشتى عصورها.

كما وردت نماذج متعددة من القصص في القرآن الكريم، التي تحكي سير الأولين للعبرة والعظة، والاستفادة مما حدث لهم.

وتعد القصة أحد القوالب الفنية للنثر الأدبي الروائي الذي يشتمل على نوعين هما: القصة والرواية، وهما وإن اختلفتا في المسمى، وبعض الأمور الشكلية المتمثلة في الحجم، والبنية، إلا أنهما تشتركان في العناصر والأهداف، والوسائل، فالغاية منهما واحدة، فهما إلى جانب الإمتاع والتشويق، تنقلان التجارب والخبرات الإنسانية.

والقصة في المفهوم الحديث للأدب تعرف بأنها سرد نثري خيالي، ولكنه في العادة مقبول عقليا، يجسد التغيرات في العلاقات البشرية، ويستمد فيه

---

(١) انظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (قصص)، طبعة دار المعارف .

(٢) انظر: سورة الكهف، الآية: [٦٤].

(٣) حلمي محمد القاعود، النقد الأدبي الحديث، ص: (٣٢٣).

المؤلف مادته من خلال تجربته في الحياة، ومن ملاحظته لها، غير أنه ينتخب منها ما يتوافق مع مقاصده[١].

وتعد القصة من أقدم أشكال التعبير الفني التي عرفها لإنسان ولجأ إليها على مر التاريخ، وهي وسيلة للترفيه من جهة، وسجلا لمغامرات الإنسان في الحياة من جهة أخرى[٢].

***-ثانيا: أنواع القصص:**

تقسم القصة وفقا لمضمونها إلى مجموعة من الأنواع، على النحو التالي[٣]:

١-القصص التاريخية:

وتتناول أحداثا تاريخية سابقة بقصد أخذ العبرة والمثل منها، والاستفادة من تجارب الآخرين، ومن أمثلتها القصص القرآني.

٢-القصص الخيالية (الأسطورية):

وهي القصص التي تعتمد على الخيال، ويتعلق مضمونها بأحداث غير حقيقية أو مستحيلة الحدوث في الواقع، ومن أمثلتها القصص التي تدور على ألسنة الطير أو الحيوان، وقصص الخيال العلمي.

٣-القصص الرومانسية:

(١) انظر: المصدر السابق، ص: (٣٢٥) بتصرف.

(٢) انظر: عز الدين إسماعيل، التفسير النفسي للأدب، ص: (٢٠٧)..

(٣) انظر: حلمي محمد القاعود، النقد الأدبي الحديث، ص: (٣٣٢ -٣٣٣)، بتصرف.

وهي القصص التي تهتم بالفرد ومشاعره، والعواطف التي تعتمل في صدره، كما تهتم بالطبيعة والجمال، وتعد الطبيعة ملاذا ومهربا من قسوة المجتمع، وماديته.

٤- القصص الرمزية:

وهي التي تتجاوز الواقع إلى مجموعة من الرموز والإشارات التي تفسر الواقع وترمز إليه، ويلجأ إليها الكتاب في فترات الكبت والقمع والنكبات الكبرى.

٥- القصص الاجتماعية:

وهي التي تصور المجتمع بمشكلاته المختلفة، وتعالج قضاياه السائدة وأفكاره الخاطئة، وتنقد ما فيه من عيوب ومساوئ.

٦-القصص البوليسية:

وهي التي تعالج الجريمة وتكشف المجرمين، من خلال التشويق والإثارة وفك الألغاز، وتعتمد على تشابك الأحداث والغموض.

٧-القصص النفسية:

وهو ونوع مستحدث من القصص يعتمد على التحليل النفسي للشخصية وسلوكها في حالاتها المختلفة. وفيها يحاول المؤلف أن يتغلغل في أغوار النفس البشرية من خلال الملاحظة الدقيقة لسلوك الشخص وتصرفه إزاء الأحداث، وأن يفسر هذا السلوك وهذا التصرف من خلال معرفته العقلية والنفسية لهذا الشخص[١].

(١) انظر: عز الدين إسماعيل، التفسير النفسي للأدب، ص: (٢٠٩ -٢١٠)..

***–ثالثا: عناصر بناء العمل القصصي:**

يعتمد الفن القصصي بصورة عامة على مجموعة من العناصر، هذه العناصر اشترطها النقاد ليكون العمل القصصي متوافقا مع المفهوم الحديث لبناء القصة، وعلى قدر التزام الكاتب بهذه العناصر وتوفرها في العمل بالإضافة إلى براعته في استخدامها يكون نجاحه فيه، وتميزه به، ومن هذه العناصر ما يلي[١]:

١–الأحداث:

الحدث أو الحادثة أوضح العناصر وأكثرها شيوعا في العمل القصصي، وهو الذي يستقطب انتباه القارئ، ويجعله يسعى وراء الوقائع، ويتابع القراءة في لذة وشغف، وخاصة إذا كانت الحادثة هي العنصر السائد في القصة..

ويعمد الكاتب إلى طريقة سهلة مبسطة يبرز من خلالها الحادثة، ويرسم المشاهد، ويصف المواقع التي تدور فيها، بحيث تصبح وكأنها ستارة من ستائر المسرح الخلفية، تسهل على القارئ إدراك الصور أو المحيط الذي تتحرك فيه، وتتقلب بين ربوعه الأفعال الإنسانية، مهما كانت: ميول عاطفية، أو أعمال مضحكة، أو تصرفات غريبة[٢].

٢– الشخصيات:

تسيطر الشخصيات على أحداث العمل القصصي، ويلجأ المؤلف غالبا إلى بعض الوسائل الفنية الأخرى ليوفر لها هذه السيادة[٣].

---

(١) انظر: حلمي محمد القاعود، النقد الأدبي الحديث، ص: (٣٢٨ -٣٣٢).

(٢) انظر: محمد يوسف نجم، فن القصة، ص: (١٦ -١٩)، وانظر: فؤاد قنديل، فن كتابة القصة، ص: (٤٥).

(٣) انظر: المصدر السابق، ص: (٢٠).

ويقسم النقاد الشخصيات القصصية وفقا لبنية الشخصية إلى: شخصيات مسطحة أو (جاهزة)، وهي شخصيات جامدة لا يطرأ عليها تغيير مهما تفاعلت وتغيرت الأحداث، وشخصيات متطورة أو (نامية)، وهي التي تتكشف ملامحها، وتتطور بتطور أحداث القصة، وتنفعل بالأحداث[١].

كما تقسم الشخصيات وفقا لطبيعة الأدوار التي تقوم بها في أحداث القصة إلى: شخصيات محورية (أبطال)، وهي الشخصيات التي تتركز حولها الأحداث، وشخصيات ثانوية (مساعدين)، وهي الشخصيات التي تساعد في توضيح ملامح الشخصيات الأساسية (المحورية) أو تسهم في إضاءة الأحداث[٢].

٣-البيئة:

بيئة العمل القصصي هي الزمان والمكان الذي تدور فيه الأحداث، وترجع أهمية البيئة إلى قبول القارئ لخيال الكاتب وتخيله، بحيث تكون القصة كأنها واقعية أو تشبه الواقع، كما أن البيئة تؤثر بشكل كبير في الشخصيات مما ينعكس على أفعالها إيجابا وسلبا[٣].

٤-الفكرة (المغزى):

يقصد بالمغزى أو الفكرة: الرؤية التي يسعى الكاتب لتوصيلها إلى القارئ، أو يستطيع القارئ أن يستخرجها بنفسه بعد قراءته للقصة، وإذا نجح

(١) انظر: فؤاد قنديل، فن كتابة القصة، ص: (٤ -٤٥).

(٢) انظر: السابق، ص: (٥٠ -٥١).

(٣) انظر: حلمي محمد القاعود، النقد الأدبي الحديث، ص: (٣٣٠)، وفؤاد قنديل، فن كتابة القصة، ص: (٥٠ -٥١).

الكاتب في تحريك ذهن القارئ وعواطفه بطريقة غير مباشرة لإدراك المغزى من القصة، فإنه بذلك يكون قد حقق نجاحا عظيما[١].

٥- اللغة:

تحمل اللغة عناصر القصة كافة إلى القارئ، وتقدم له الأحداث والشخصيات، والبيئة والمغزى، وبدون اللغة لا تستطيع هذه العناصر أن تعبر عن نفسها أو معطياتها[٢].

٦-الحبكة الفنية (الصراع):

الحبكة الفنية يقصد بها ما يسمى بالصراع الذي يقوم عليه أي فعل في العمل القصصي، ويأخذ الصراع ثلاث مراحل متتالية، حيث يبدأ هادئا، ثم يأخذ في التصاعد شيئا فشيئا، إلى أن ينتقل إلى المرحلة الثانية التي يشتد فيها، وينمو حتى يصل إلى الذروة، ويحدث ما يسمى بالأزمة، أو العقدة، التي يبدأ عندها الحل، ثم تأتي المرحلة الثالثة وتنخفض فيها حدة الصراع، حتى يتلاشى ويحسم لصالح أحد الأطراف[٣].

٧- الخاتمة (لحظة التنوير):

وهي اللحظة التي تهدأ فيها الأحداث ويحسم الصراع لصالح أحد الأطراف، ويطلق عليها في بعض الأحيان النهاية أو لحظة التنوير، وينبغي على الكاتب أن يجعل الخاتمة طبيعية ونتيجة لحركة الأحداث وتطورها المقنع،

---

(١) انظر: القاعود، النقد الأدبي الحديث، ص: (٣٣١).

(٢) انظر: المصدر السابق، الصفحة نفسها.

(٣) انظر: المصدر السابق، ص: (٣٤١ -٣٤٢).

فالنهايات المفاجئة أو غير المقنعة يرفضها القارئ؛ لأنها مفروضة عليه، مما يضعف القصة ويهدد بناءها ويفكك عناصرها[١].

رابعا: أهمية التحليل السيميائي للأدب القصصي:

سبق وذكرنا أن أهمية التحليل الأدبي للأدب عامة تكمن في محاولة التوصل من خلاله إلى معرفة ما يخفى عن الشخصيات الأدبية، فالأقوال والأفعال تنبئ عن صاحبها، واستخدام الأقوال والأفعال في التحليل الأدبي أمر طبيعي متعارف عليه بين علماء الأدب التحليليين.

وبالنسبة للأدب القصصي -على وجه التحديد -نلحظ فيه أحداثا متعددة وشخصيات متنوعة، وهذه الأحداث، وتلك الشخصيات يمكن من خلالها التوصل لمعرفة الجوانب والعوامل المختلفة التي أثرت في الأحداث والشخصيات، كما يمكننا من خلال منهج التحليل السيميائي للأدب القصصي، إدراك العوامل المؤثرة في سير الأحداث، وتفاعلات الشخصيات معها، والأبعاد النفسية التي تنطلق منها هذه الشخصيات في استجاباتها لهذه الأحداث، والتي تتمثل في الفعل ورد الفعل.

كذلك يسهم التحليل السيميائي للأدب القصصي في معرفة الدوافع التي تنطلق منها شخصيات العمل الأدبي، ويجيب عن الاستفسارات المتعلقة بها وما يتعلق بها من تساؤلات متعددة.

والتحليل السيميائي للأدب القصصي يعد محاولة طيبة للاستفادة من العلوم والثقافات ومناهج النقد الأدبي الحديثة، وتطبيقاتها المتنوعة. كما يعد

(١) انظر: المصدر السابق، ص: (٣٤٢).

خطوة مهمة في سبيل معرفة كثير من جوانب النفس الإنسانية وكشف كثير من خباياها، وأسرارها التي تنطوي عليها.

***–خامسا: عناصر البناء القصصي (في ضوء منهج التحليل السيميائي):**

لا تختلف عناصر البناء القصصي ومكوناته في منهج التحليل السيميائي عنها عما اشترطه النقاد، وهي البيئة، والأحداث، والشخصيات، واللغة، والفكرة، والحبكة الفنية، ونحو ذلك مما سبق ذكره عند الحديث عن مكونات العمل القصصي وعناصر بنائه.

ولكن منهج التحليل السيميائي عند تناوله لعمل قصصي، فإنه ينظر إلى هذه المكونات من وجهة نظر مختلفة، ويراعي اعتبارات متعددة.

فاللغة لها دلالتها بما تشتمل عليه من مفردات وأساليب وتعبيرات مختلفة ومتنوعة، فكل لفظة وكل كلمة وكل تعبير له دلالته التي تشير إليها، لا سيما الكلمات والتعبيرات التي تحوي ألوانا معينة، أو أوزانا خاصة.

كذلك البيئة بنوعيها الزمانية والمكانية، لها إيحاءاتها ودلالتها التي تدل عليها، فاختيار الزمان والمكان كبيئة طبيعية للأحداث له إيحاءاته ودلالته التي يمكن أن يفسر في ضوئها.

والشخصيات والأحداث كذلك، لها تفسيراتها، وأغلب اهتمام المنهج السيميائي عند تحليل العمل القصصي ينصب على الشخصيات والأحداث، فالشخصيات لها ظواهرها التي نراها أمامنا ولها أعماقها التي تنطلق منها.

فالأحداث وثيقة الصلة بالشخصيات، وهي ردود فعل مباشرة أو غير مباشرة لتفاعلات الشخصيات معها، ومنها تبدأ وإليها تنتهي.

وعلى كل حال يمكن القول أن منهج التحليل السيميائي يبني من عناصر العمل القصصي ومكوناته الظاهرة عناصر أخرى خفية، يغوص الناقد

في أعماقها، ويبحث عن الإشارات الدالة عليها ويستفيد من معطيات جميع العلوم الأخرى في محاولته لتفسير النصوص.

المبحث الثاني

تطبيق منهج التحليل السيميائي

على قصة مختارة من كتاب البخلاء للجاحظ

أولا: نص القصة[١]:

"قالوا: كان عبد النور كاتب إبراهيم بن عبد الله بن الحسن قد استخفى بالبصرة في عبد القيس، من أمير المؤمنين أبي جعفر وعماله. وكان في غرفة قدامها جناح. وكان لا يطلع رأسه منها. فلما سكن الطلب شيئاً، وثبت عنده حسن جوار القوم، صار يجلس في الجناح، يرضى بأن يسمع الصوت ولا يرى الشخص، لما في ذلك من الأنس عند طول الوحشة.

فلما طالت به الأيام، ومرت أيام السلامة، جعل في الجناحِ خرقاً بقدر عينه. فلما طالت الأيام، صار ينظر من شق باب كان مسمورا. ثم ما زال يفتحه الأول فالأول، إلى أن صار يخرج رأسه ويبدي وجهه. فلما لم ير شيئاً يريبه، قعد في الدهليز.

فلما زاد في الأنس، جلس على باب الدار! ثم صلى معهم في مصلاهم ودخل. ثم صلى بعد ذلك وجلس. والقوم عرب. وكانوا يفيضون في الحديث، ويذكرون من الشعر الشاهد والمثل، ومن الخبر الأيام والمقامات. وهو في ذلك ساكت، إذا أقبل عليه ذات يوم فتى منهم، خرج عن أدبهم، وأغفل بعض ما راضوه به من سيرتهم، فقال له: يا شيخ إنا قوم نخوض في بعض ضروب، فربما تكلمنا بالمثلبة، وأنشدنا الهجاء. فلوا أعلمتنا ممن أنت، تجنبنا كل ما يسوءك. ولو اجتنبنا أشعار الهجاء كلها، وأخبار المثلب بأسرها، لم نأمن أن

---

(١) انظر: كتاب البخلاء للجاحظ.

يكون ثناؤنا ومديحنا لبعض العرب مما يسوءك. فلو عرفتنا نسبك، كفيناك سماع ما يسوءك من هجاء قومك، ومن مديح عدوك.

فلطمه شيخ منهم، وقال: لا أم لك! محنة كمحنة الخوارج، وتنقير كتنقير العيابين؟ولم لا تدع ما يريبك إلى مالا يريبك؟ فتسكت إلا عما توقن بأنه يسره.

قال: وقال عبد النور: ثم إن موضعي نبا بي لبعض الأمر. فتحولت إلى شق بني تميم فنزلت برجل فأخذته بالثقة، وأكمنت نفسي إلى أن أعرف سبيل القوم. وكان للرجل كنيف إلى جانب داره، يشرع في طريق لا ينفذ. إلا أن من مر في ذلك الشارع رأى مسقط الغائط من خلاء ذلك الجناح. وكان صاحب الدار ضيق العيش، فاتسع بنزولي عليه. فكان القوم إذا مروا به ينظرون إلى موضع الزبل والغائط، فلا يذهب قلبي إلى شيء مما كانوا يذهبون إليه.

فبينا أنا جالس ذات يوم إذا أنا بأصوات ملتفة على الباب، وإذا صاحبي ينتفي ويعتذر، وإذا الجيران قد اجتمعوا، إليه وقالوا: ما هذا الثلط الذي يسقط من جناحك، بعد أن كنا لا نرى إلا شيئاً كالبعر، من يبس الكعك؟ وهذا ثلط يعبر عن أكل غض! ولولا أنك انتجعت على بعض من تستر وتواري لأظهرته. وقد قال الأول:

الستر دون الفاحشات ولا ... يلقاك دون الخير من ستر

ولولا أن هذا طلبة السلطان، لما توارى. فلسنا نأمن من أن يجر على الحي بلية. ولست تبالي – إذا حسنت حالك في عاجل أيامك – إلام يفضي بك الحال، وما تلقى عشيرتك. فإما أن تخرجه إلينا، وإما أن تخرجه عنا.

قال عبد النور: فقلت: هذه والله القيافة، ولا قيافة بني مدلج! إنا لله! خرجت من الجنة إلى النار! وقلت: هذا وعيد. وقد أعذر من أنذر. فلم أظن أن اللؤم يبلغ ما رأيت من هؤلاء، ولا ظننت أن الكرم يبلغ ما رأيت من أولئك!".

*- **ثانيا: مضمون القصة:**

تدور أحداث القصة في زمن الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور، وتحكي عن أحد الأشخاص الخارجين عليه ممن يؤازرون العلويين، ثم طلب الخليفة ورجاله له، وهروبهم منهم واختبائه مرة في البصرة بين ديار بني عبد القيس، ومرة أخرى بين ديار بني تميم.

*- **ثالثا: العناصر الفنية للقصة:**

تشتمل هذه القصة على العناصر الفينة اللازمة لبناء العمل القصصي، فالبيئة الزمانية هنا هي فترة الحكم العباسي وتحديدا في عصر الخليفة أبي جعفر المنصور، والبيئة المكانية هي بادية بني عبد القيس، وبني تميم.

والأحداث، تسير صاعدة وهابطة ومتنامية من بداية ثم عقدة ثم نهاية، وجميعها تدور في نطاق البيئة المرسومة لها.

والشخصيات المحورية لهذا العمل هي شخصية عبد النور الذي يدور العمل كاملا حوله. أما باقي الشخصيات فتعد شخصيات ثانوية أو مساعدة لأن الأدوار التي كلفت بها كانت من أجل إبراز دور البطل، ومن هذه الشخصيات: أبو جعفر المنصور، ورجاله، ثم الشيخ الطيب في مجلس بني عبد القيس، والغلام سليط اللسان، ثم الرجل الشحيح الذي أقام عنده في بني تميم، ورجال بني تميم الذي كشفوا أمره.

أما الفكرة فواضحة، وهي قصة هروب أحد الخارجين على الحكم العباسي واختفائه لفترات متنقلا بين القبائل، حتى افتضح أمره وحدث ما حذر منه.

أما اللغة فقد كتبت القصة بلغة عربية فصحى واشتملت على العديد من التعبيرات والأساليب البلاغية الرائعة، واستطاع الكاتب أن يربط بين الفقرات ببراعة فائقة، حتى تكاد تتناغم الفقرات النثرية وترسم لوحة فنية بارعة الجمال.

***– رابعا: التفسير السيميائي للقصة:**

١–الشخصيات:

أول ما يفاجئنا في التحليل السيميائي لعناصر القصة هنا هو شخصيات القصة، التي لم تحظ بالوصف الخارجي بقدر ما ركز الكاتب على الوصف الداخلي وإن لم يصرح به، فأبو جعفر المنصور، شخصية مستبدة ديكتاتورية، يلاحق هو ورجاله جميع الخارجين عليه ويقتلهم دون محاكمة عادلة، وعبد النور بطل القصة كان يعمل كاتبا ولنا أن نفهم من هذا الوصف ما يتطلبه هذا المنصب الحساس في ذلك الزمان من مهارات خاصة ومعارف متنوعة، ثم الشخصية التي كان يعمل عندها، وهو إبراهيم بن عبد الله بن الحسن الذي يفهم من اسمه الذي ذكر كاملا أن نسبه ينتهي إلى آل البيت، ثم صاحب الدار التي أقام بها واختبأ فيها وما يظهر من كرمه وحسن جواره، وتوافد الناس إلى مجلسه مما يدل على شهرته وعلو مكانته بين قومه، ثم ذلك الغلام الذي واجه عبد النور في المجلس الذي ارتاده بالكلام وأجبره على الخروج من ديار عبد القيس مرغما بسلاطة لسانه، وكثرة سؤاله، ولولا فضوله لسلم من الشك وطاب له المقام، وما نبا به الدهر.

وصاحب الدار التي أقام بها في بنى تميم، وما هو عليه من شظف العيش وكثرة الحاجة، وضيق المؤونة، حتى أن ذلك يعرف من فضلات داره، وحتى يلاحظ عليه أبسط تغيير وإن لم يكن باديا عليه هو، بل على ضيفه الذي يؤويه في بيته ويخبأه عنده، ويظهر من تصرفه أيضا أنه محب لعبد النور وأنه من أتباع العلويين وإن حاول إخفاء ذلك على قومه، ولولا ذلك ما آوى ذلك الهارب على ما به من فاقة وعوز.

ثم رجال بني تميم، وبراعتهم في الاستدلال وتتبع الآثار، وحرصهم على السلامة، وعدم مخالفة السلطان، وطلبهم من صاحبهم إخراج ضيفه لهم أو تسليمه لرجال الخليفة أو خروجه عن ديارهم.

٢-البيئة:

ثم تأتي البيئة المكانية التي كانت متغيرة وثابتة في الوقت نفسه، حيث دار الأحداث في ديار عبد القيس بالبصرة أولا ثم انتقلت إلى ديار بني تميم ، وهذه البيئة تمثل البيئة الرحبة للأحداث أما البيئة الضيقة فكانت منحصرة في تلك الغرفة التي اختبأ فيها البطل في تلك البيئتين، وبينهما فضاء آخر وسيط تمثل في المجلس الذي كان يخرج إليه ليأنس بالحديث، والكنيف الذي استدل من فضلاته على وجوده في نبي تميم.

أما الزمن فقد كان محدودا بحدود الأحداث مرتبطا بها، ومرَّ متباطئا وفقا لما تقتضيه لحظات الخوف والهلع وأوقات الهروب والاختباء، وغلبت الأفعال الماضية التي تؤكد الانقطاع وعدم الاستمرار على أحداث القصة.

كما برز من خلالها تدرج بعض الأحداث حيث بدأ أولا بالاستماع إلى الأحاديث دون النظر، ثم اكتفي بنظرة من شق بالجدار ثم نظر من الباب ثم نظر من فتحة أخرج منها رأسه، ثم غشى المجلس وارتاده وأنس به، وصلى معهم في

مصلى الحي، وأخيرا العودة مرة أخرى إلى الاختفاء من جديد ولكن في ديار أخرى ومكان مختلف.

٣-الأحداث:

وتأتي الأحداث متنامية صاعدة وهابطة تبدأ بمقدمة ثم عقدة ثم نهاية مفتوحة، أما المقدمة فقد رسمت أبعاد بعض الشخصيات بالإضافة إلى الشخصية المحورية، وكانت العقدة عدة عقد متتالية تمثلت في الأزمات التي تعرض لها البطل من إحساس بالوحشة في المخبأ الذي يختبئ فيه رغم توفر كل مقومات الحياة له مما دفعه للخروج منه، ثم في المواجهة التي حدثت له مع الغلام في مجلس بني عبد القيس، وأخيرا في طلب رجال بني تميم له وإصرارهم على خروجه. وتأتي النهاية المفتوحة في نهاية الأحداث التي تجعلنا نتخيل كل الاحتمالات الممكنة لها.

٤-اللغة والأسلوب:

أما اللغة فقد كانت فصيحة غلب عليها أسلوب السرد، وتخللها بعض الحوار بين الغلام سليط اللسان والشيخ والوقور المتدين مرة، وبين مضيف البطل في بني تميم ورجال قومه الذي جاءوا في طلبه ومحاوله اكتشاف سر التغير في نمط معيشته مرة أخرى، ثم الحوار الذاتي بين البطل ونفسه أو ما يسمى بالمنولوج الداخلي، عندما أيقن بأن سره قد كشف، وأمره قد افتضح، وأنه لم يعد في مأمن في مخبئه الجديد مرة ثالثة.

وقد اشتملت القصة على العديد من الثنائيات التي تتمثل في استخدام الأفعال الماضية إلى جانب الأفعال المضارعة، والعيش الآمن الرغد في ديار بني عبد القيس وشظف العيش وقسوته في ديار بني تميم، والشيخ الوقور العاقل، والغلام الحدث سليط اللسان، وطيبة أهل عبد القيس، ولؤم رجال بني تميم

وذكائهم الحاد وبراعتهم في علم القيافة، والجنة والنار في تلك المقارنة التي عقدها البطل بين عيشته الماضية وعيشته الحالية والمستقبلة، وفيها أيضا الثنائية بين المدح والهجاء، والكرم واللؤم، والأنس والوحشة، والأمن والخوف، والاختفاء والظهور، ... إلخ.

الخاتمة

عرضنا فيما سبق لمفهوم الأدب وأنواعه، والمقصود بالأدب القصصي وعناصر بنائه، وأنواعه، وكشفنا عن العلاقة القائمة بين علم اللغة والأدب، وبينا المراد بالتحليل السيميائي للأدب، وأهميته ، ثم عرضا لتحليل نموذج أدبي لقصة من القصص العربية في ضوء منهج التحليل السيميائي، وفق معطيات علم السمياء ومناهج النقد الأدبي الحديث.

ومما سبق يتضح لنا أن تحليل النصوص الأدبية في ضوء المنهج السيميائي يسهم بشكل كبير في معرفة أبعاد شخصية الأديب النفسية، والعوامل التي أثرت فيها، كما يمكننا من اكتشاف الكثير من أبعاد النفس الإنسانية وانفعالاتها، وتأثرها بالأحداث وتأثيرها فيها.

ويتضح لنا مما سبق أن الإفادة من معطيات العلوم الحديثة لا سيما علوم اللسانيات أمر لا غبار عليه خاصة إذا علمنا تلك العلاقة الوثيقة بينها وبين الأدب.

وعلى كل حال ما زال الميدان رحبا لمزيد من البحوث والدراسات التي تكشف عن طبيعة عملية الإبداع وتقوم بتحليلها، وتطبيق مناهج العلوم الحديثة عليها ، وفي خاتمة القول أسأل الله العلي القدير أن يكون فيما قدمت صورة واضحة عن مفهوم التحليل السيميائي للأدب بعامة والأدب القصصي بخاصة، وأهميته والحاجة إليه. وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب، وهو حسبي ونعم الوكيل،،،.

المؤلف

د. إبراهيم مُحَمَّد خفاجة

مصادر البحث

١-القرآن الكريم

٢-حلمي مُحَمَّد القاعود، النقد الأدبي الحديث، بداياته وتطوراته، دار النشر الدولي، الرياض، السعودية، الطبعة الأولى ١٤٢٧ هـ -٢٠٠٦م.

٣-زكريا إبراهيم، مشكلة الفن، مكتبة مصر، القاهرة، ١٩٧٦م.

٤-سامي الدوربي، علم النفس والأدب، دار المعارف، القاهرة، مصر، بدون تاريخ.

٥-عز الدين إسماعيل، التفسير النفسي للأدب، دار العودة ودار الثقافة، بيروت، لبنان، بدون تاريخ.

٦-فؤاد قنديل، فن كتابة القصة، الهيئة المصرية العامة لقصور الثقافة، القاهرة ٢٠٠٢م.

٧-مُحَمَّد طه عسر، سيكولوجية الشعر (العصاب والصحة النفسية)، عالم الكتب، القاهرة، مصر ، الطبعة الأولى ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠م.

٨-مُحَمَّد على بيضوت، الحب الخالد (قيس وليلى)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة ١٤٢٤ هـ -٢٠٠٣م.

٩-مُحَمَّد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الخامسة ١٩٧١م.

١٠-مُحَمَّد مندور، الأدب وفنون، دار نهضة مصر، القاهرة، مصر، بدون تاريخ.

١١-مُحَمَّد مندور، النقد المنهجي عند العرب، دار نهضة مصر، القاهرة، مصر، ٢٠٠٣م.

١٢-مُحَمَّد النويهي، نفسية أبي نواس، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٩٧٠م.

١٣-مُحَمَّد يوسف نجم، فن القصة، دار الثقافة، بيروت، لبنان، بدون تاريخ.

١٤-مصري عبد الحميد حنورة، الأسس النفسية للإبداع الفني، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٦م.

١٥- ميجان الرويلي وسعد البازعي، دليل الناقد العربي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء -المغرب، الطبعة الرابعة، ٢٠٠٥م.